

الكشاف

" أن تميد بكم " كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد : الذي يدار به إذا ركب البحر .
قيل : خلق الله الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة : ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد
أرست بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت " وأنهارا " وجعل فيها أنهارا لأن " وألقى " فيه
معنى : جعل ألا ترى إلى قوله " ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا " النبأ : 6 ، "
وعلامات " هي معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك . والمراد
بالنجم : الجنس كقولك : كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي : هو الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدي . وقرأ الحسن : وبالنجم بضميتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن
والسكون تخفيف . وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا . فإن قلت : قوله " وبالنجم هم
يهتدون " مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل : وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم ؟ قلت : كأنه أراد قريشا : كان لهم اهتداء بالنجوم
في مسيرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم
لهم فخصصوا .

" أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون " .

فإن قلت : " من لا يخلق " أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم ؟ قلت : فيه
أوجه أحدها : أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم . ألا ترى إلى قوله على
أثره " والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون " النحل : 20 ، والثاني :
المشكلة بينه وبين من يخلق . والثالث : أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من
أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله : " ألهم أرجل يمشون بها " الأعراف : 195 ، يعني
أن الآلهة حالهم منحة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات
فكيف تصح لهم العبادة ؟ لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا . فإن قلت : هو
إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق
فكان حق الإلزام أن يقال لهم : أفمن لا يخلق كمن يخلق ؟ قلت : حين جعلوا غير الله مثل الله
في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات
وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله : " أفمن يخلق كمن لا يخلق " .

" وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون " .
" لا تحصوها " لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء
الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبئها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد " إن الله لغفور

رحيم " حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها " وإِذْ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ " من أعمالكم وهو وعيد .
" والذين يدعون من دون إِلهٍ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون "